الفصل الأول

الصيادون

١ ـ طلائع المهاجرين القدماء :

تشمل الدنيا الجديدة قارة امريكا الشمالية وامريكا الجنوبية ويفصل بينهما وبين مراكز التمدن في الدنيا القديمة (آسيا واوربا وافريقيا) المحيط الهادي من الغرب والمحيط الاطلسي من الشرق ولهذا تاخرت عن ركب الحضارة فعندما وصل المكتشفون الاسبان الى شواطيء امريكا كان سكانها في مرحلة حضارية اجتازتها اقاليم جنوب غرب آسيا قبل ٥٠٠٠ سنة واجتازتها اوربا قبل ٣٠٠٠ سنة وبالمقارنة مع سكان القارات القديمة كان استقرار طلائع المهاجرين وهم الامريكيون الاصليون في هاتين القارتين حديثا اذ لم يعثر على أية آثار لاستيطان بشري في وضع طباقي سليم بين انقاض اوائل وأواسط عصر البلايستوسين(١) . وبالرغم من ان التنقيبات الاثرية قد اثبتت ان الهجرة الأولى قد وصلت الدنيا الجديدة في زمن احدث مما كان يظن لا توجد ادلة قاطعة على ان تلك الهجرة سبقت مرحلة متقدمة من عصر البلايستوسين الأعلى . ومن المهم القول بأن جميع بقايا الهياكل العظمية التي اكتشفت في المواقع الاثرية بالدنيا الجديدة تعود لنوع الانسان العاقل . ويفهم من هذا ان النوع البشري لم يتطور تطورا مستقلا في الامريكتين . لقد جاء الانسان الى هذه الدنيا الجديدة بعد ان وصل في تطوره المرحلة التي نسميها الانسان الحديث وكان يعرف عند قدومه صنع الآلة واستخدام النار والكلام . ونظرا لاضطراره على اختراق بعض المناطق القطبية فلا شك في أنه كان يعرف صنع الملابس واعداد المأوى الذي يأوى اليه .

Scanned by CamScanner

ولا ريب في ان المهاجرين الاوائل قد دخلوا الامريكتين من آسيا
عبر مضيق بهرنج الذي كان انذاك جسرا أرضيا الى ألسكا في مطاردتهم
لمجموعة من اللبائن الكبيرة التي سبقتهم في الهجرة الى هذا العالم وقد
سلكوا نفس الطريق الذي سلكته تلك الحيـــوانات التي انقرضت الآن
كالفيل الصوفي القديم Mamooth والثور البري Bison والكسلان
Sloth والحصان الامريكي الأصل . ولا يعرف متى وأين وتحت تاثير
اي الظروف حصل أول عبور للانسان من آسيا ولاتزال المعلومات بهذا
الشأن غير مؤكدة وليست نهائية ويعتقد ان ما نسميه الآن مضيق بهرنج
كان جسرا أرضيا في عصر الجليد لأن تكون الجليد يستدعي حجز كميات
كبيرة من المياه في المنطقة القطبية وأدى هذا الحجز الى انخفاض مستوى
سطح البحر وحدث هذا في عصر البلايستوسين الأعلى وانخفض منسوب
الماء ١٥٠ قدما فظهر جسر أرضي في المكان الذي يشـــغله الآن مضيق
بهرنج وربط هذا الجسر بين القارتين امريكا الشمالية وآسيا . ونظرا
لأن مياه المنطقة القطبية كانت محجوزة في الشمال فان تيار المحيط الهادي
الدافيء كان يمر بشواطيء ألسكا وشمال شرق سبريا وربما كانت هذه
هي الحالة في المنطقة عند حدوث الهجرات الأولى وكانت غالبية منطقة
ألسكا غير مغطاة بالثلوج اي ان الهجرة حدثت أثناء فترة دفء غير جليدية
سبقت الزحف الجليدي الأخير . والذي نعرفه على وجه التأكيد هو ان
الصيادين من الهنود القدماء كانوا نشطين في السهول المرتفعة من امريكا
الشمالية في الألف العاشر قبل الميلاد استنادا الى التاريخ بطريقة كربون
١٤ الاشـعاعي (٢) أي قبـل زحف الجليـد الأخير مباشرة . اما وصولهم قبل
هذا الوقت ان كان قد حدث فلايزال غامضا . ومما يتوفر لدينا من
التطورات الطبيعية للاقاليم التي عبرتها الهجرة الاولى تتضح صعوبة
حدوثها وقت بلوغ زحف الجليد الاخير أقصى اندفاع له لانه في مثل هذا
الوقت كان شمال شرق سبريا منعزلا بسبب انتشار الجليد فيه .

Scanned by CamScanner

وقد سمى الاوربيون السكان الاصليين في الامريكتين الهنود الحمر تسمية مغلوطة لأن الاسبان اعتقدوا انهم وصلوا الى الهند عندما وطئت اقدامهم أرض الدنيا الجديدة لأول مرة فاطلقوا على سكانها اسم الهنود وكان هؤلاء الناس يصبغون اجسامهم باللون الأحمر في مناسبات الاحتفالات والاعياد فحملوا لذلك اسم الحمر او السلالة الحمراء . وفي الحقيقة انهم ليسوا هنودا ولا حمرا بل هم امريكيون ومغول في الأصل . واطلق الانثروبولوجيون على جميع سكان الامريكتين الاصليين فيما عدا الاسكيمو اسم الهنود الامريكيين .

والهنود الامريكيون متشابهون في بعض الصفات كالشعر الاسود والعيون السوداء ولون البشرة البني الغامق والشعر القليل أو النادر على الوجه والمسترسل على الرأس وعظام الوجنات البارزة والوجه الكبير العريض والقامة الطويلة في البعض منهم والمتوسطة في البعض الآخر والرأس الطويل لدى البعض والعريض لدى البعض الآخر والانف الطويل الدقيق عند البعض والأنف الافطس عند البعض الآخر والثنية المغولية في عيون البعض . كل هذه الصفات تدل على وجود اختلافات في الصفات الجسمية بين قبائل الهنود الامريكيين . ونشأ هذا الاختلاف من انتشارهم في هجراتهم المتتابعة الى الدنيا الجديدة في عالم فسيح تقسمه الظواهر الطبيعية الى أقسام عديدة ينفصل بعضها عن البعض الآخر فاكتسبت كل جماعة صفات جديدة في عزلة عن بقية الهجرات . وتدل هياكل العظم البشرية التي اكتشفت في مواقع الآثار على قلة الاختلافات في الصفات الجسمية بين المهاجرين الاوائل .

وكان طلائع القادمين الى الدنيا الجديدة يعتمدون في معيشتهم على صيد الحيوانات والاسماك اذ لم يكن لديهم مورد آخر في المناطق القطبية

Scanned by CamScanner

التي سكنوها في بادىء الأمر . وعندما نزلوا جنوبا في وادي مكنزي الى مناطق السهول وجدوا بيئة صالحة لكثير من حيوانات الصيد وعندما تراجع الجليد نحو الشمال وجدوا طريقا اخر بين جبال الروكي وسهول الشاطىء يؤدي الى العوض الكبير وكلما زاد تدفق المهاجرين الذين استمروا في الهجرة الافا من السنين كلما زاد نزوحهم نحو الجنوب بحثا عن مكان أفضل فانتشروا في امريكا الشمالية في السهول العالية وفي الغابات الشرقية وفي المناطق القاحلة وهضبة الروكي والشواطىء الشمالية الغربية والاقسام الجنوبية الغربية . كما استوطنوا اقاليم مختلفة من حيث البيئة الطبيعية في امريكا الوسطى والجنوبية .

وحينما قل حيوان الصيد كان الاعتماد على جمع البذور والثمار والجذور والابصال والنباتات البرية الصالحة للأكل ولما كانت حرفة سكان هذه المناطق هي جمع مواد الطعام بالدرجة الأولى كانت قاذفاتهم المدببة ومهامهم ومهاشمهم فجة الصنع وقد عرف هؤلاء الجماعون طحن الحبوب والبذور على احجار مقعرة لتصير دقيقا وعرفوا تجفيف الفائض عن حاجتهم لخزنه في سلال محبوكة الصناعة من الحبال المجدولة . وتجمع الصيادون في السهول حيث توفرت حيوانات الصيد وكانوا يستكملون وجبات طعامهم من الجذور والبذور والثمار والفواكه البرية .

وبما ان الانسان وصل متاخرا الى العالم الجديد وهو مزود بحضارة متقدمة فان تسلسل تطور الحضارة في الامريكتين لا يعتمد على الآلات الحجرية الخشنة التي وجدناها في اقطار العالم القديم بل على الات متطورة وفي دراستنا للامريكتين نعتمد على المخلفات الحضارية لأن الدلائل عن المهاجرين الاوائل انفسهم قليلة جدا . لقد بدأ استيطان الانسان لامريكا الشمالية وامريكا الجنوبية قبل ٢٠٠٠٠ سنة وتمتاز حضارة طلائع المهاجرين الى هذا العالم الجديد الذين مارسوا جمع مواد الطعام

Scanned by CamScanner

والعمل بصناعة عدد كبير من الآلات الحجرية وقد تميزت عندهم عدة
انواع من رؤوس السهام عرفت بأسماء المواقع التي وجدت فيها مثل
سانديا Sandia وكلوفس Clovis وفولسوم Folosm ويومان
Yuman (٣) واقتصر انتشار النوع الاول على الجهات الغربية والجنوبية
الغربية من امريكا الشمالية وتتميز هذه الرؤوس بوجود ساق لها في
جانب واحد من القاعدة المحدبة وهذه الساق تدخل عادة في الحامل ووجدت
احيانا انواع من الرؤوس فيها شق طولي في الواجهة يمتد من الراس
الى القاعدة . اما رؤوس كلوفس فقد انتشرت في السكا وكندا ومواقع
اخرى في امريكا الشمالية وأمريكا الوسطى ووجدت في الغالب مع عظام
الماموث في ادنى الطبقات ويعود تاريخها بطريقة كربون ١٤ الاشعاعي
الى الفترة ما بين ١٣٠٠٠ ـ ١١٠٠٠ سنة مضت(٤) . اما رؤوس سهام
فولسوم فقد انتشرت في غرب نهر المسسبي حيث وجدت فوق الات كلوفس
وكانت عظام الحيوان الموجودة معها لا تعود الى الماموث بل الى الثور البري
(البيزون) . اما تاريخ هذه الآلات فيعود حسب طريقة كربون ١٤
الاشعاعي الى الفترة ما بين ١٠٠٠٠ ـ ٩٠٠٠ سنة مضت(٥) . وتمتاز
رؤوس السهام هذه باستقامتها وحافتها الحادة من الجانبين . اما الآلة
التي استخدمها أهل يومان فهي طويلة وغير عريضة ومشطوفة من الجانبين
ولا يوجد في سطحها خط عميق .

ان رؤوس السهام التي استعملها الصيادون في فولسوم بولاية
نيومكسيكو اكتشفت لأول مرة في سنة ١٩٢٦ وفي السنوات التالية كشفت
التنقيبات الأثرية عن آلات حجرية مشابهة لنوع فولسوم في مواقع أخرى
مثل لبسكومب Lipscomb في تكساس ولندرمير Lindermeir في
شمال كولارادو وقد وجدت هنا مع مقاشط وشظايا أخرى مفيدة ومع
بقايا عظام ١٤ ثور منقرض منها تسع جماجم . واثبتت هذه الآلات ان
صانعيها كانوا يصطادون في السهول العالية حيوانات تختلف عن الحيوانات

التي تعيش في الوقت الحاضر في تلك السهول ولا يعرف تاريخ انقراض تلك الحيوانات على وجه التحديد . ان رؤوس السهام المكتشفة في هذه المواقع تختلف عن آلات العصر الحجري القديم الأعلى التي اكتشفت في مواقع العالم القديم وقد لوحظ ان مكتشفات مواقع العالم الجديد خالية تماما من المثاقب . ومن ناحية أخرى وجدت نقاط شبه بينها وبين الآلات التي شاع استعمالها في شمال اوراسيا قبل العصر الحجري الحديث كما ان رؤوس السهام من نوع فولسوم لم يعثر عليها قط في أقطار العالم القديم بل انتشرت بشكل هائل في امريكا الشمالية .

ومنذ اكتشاف آلات فولسوم لأول مرة وجد نوعان من رؤوس السهام أولهما في كهف سانديا بولاية مكسيكو الجديدة حيث عثر معها أيضا على عظام لأنواع منقرضة من الحصان والثور والجمل والفيل ويمتاز هذا النوع بكونه متجانسا في مظهره العام وله بروز من الأسفل وقد انتشر استعماله في منطقة شاسعة وكانت نماذجه التي عثر عليها في لوسي Luci بنفس الولاية مهمة لأنها اثبتت بطريقة كربون ١٤ الاشعاعي انها تعود لفترة يتراوح تاريخها ما بين ١٠٠٠٠ ـ ٨٥٠٠ سنة قبل الميلاد . اما النوع الثاني فتمثله رؤوس السهام التي وجدت في كلوفس بمكسيكو الجديدة أيضا في منطقة رملية بنية اللون فوق طبقة من آلات فولسوم وتمتاز هذه الآلات بثقل وزنها وبطولها الذي يبلغ ثمانية سنتمترات وباستقامة نصف هذا الطول وبكونها مشظوفة جيدا وعثر على مكتشفات مشابهة في مناطق أخرى مثل ناكو Naco ولنهر في اريزونا ودنت Dent في كولارادو . وبالاضافة الى هذه الآلات وجدت رؤوس سهام متنوعة صغيرة الحجم ذات جوانب متوازية سميت بمجموعة بورتيلز Portales كما وجدت رؤوس سهام ذات قاعدة محدبة سميت بمجموعة وادي براون Brown Valley تعود للألف السادس قبل الميلاد وعثر على رؤوس من أنواع أخرى في سكوتسبلف Scottsbluf

ريكا ووادي عدن Eden Valley في ولاية وايومنك وهي تعود للالف
امس قبل الميلاد وتمتاز الأخيرة بوجود ساق لها في الأسفل لاتحاله في
امل .

والاعتقاد بأن السهول المرتفعة كانت مركز الجذب الرئيسي
لاستيطان المبكر يطابق تماما الفرضية التي ترى ان الهنود القدماء
اتجهوا نحو الجنوب ونحو الحافات الشرقية لجبال الروكي في فترة العصر
التي حصلت بين جليد لورين Louren وجليد كوردلر Cordiller
والسهول المرتفعة هي الآن منطقة قاحلة ولكنها كانت اثناء الوجه
الجليدي الأخير تتمتع بامطار غزيرة وتشير الدلائل على ان صيادي الفيل
والثور المنقرض كانوا يخيمون حول البحيرات والبرك منتظرين ورود
الحيوانات عليها . ان أهمية الآثار المتناثرة التي عثر عليها في شمال كندا
والسكا سوف تكون أكثر وضوحا حينما يجرى المزيد من التنقيبات . ولكن
رؤوس السهام المستقيمة التي تشبه الناي التي عثر عليها بين تلك الآثار
هي بلا شك من صنع امريكي وهي تدل على هجرة الهنود القدماء الى
الجنوب والى انتشارهم نحو الشرق فقد وجدت هذه الآلات في ولاية الاباما
وفي شرق ولاية تنسي وشمال ولاية كارولينا وفي ولاية فرجينيا ثم اتجهت
شمالا نحو ولاية ماسوشوستس وولاية فرمونت . ولما كان انتشارهم في
بعض الحالات في الغابات وبالقرب من البحار فقد تنوعت المواد التي
يتناولونها في طعامهم فشملت الاسماك والحيوانات ذات الاصداف
والنباتات . اما في الغرب فقد اعتمدوا على النباتات في الغالب وعلى صيد
الحيوانات الصغيرة . وتدل رؤوس السهام الهلالية الشكل التي سميت
Lerma Point التي عثر عليها في المكسيك وفي امريكا الجنوبية على
انتشار الهنود القدماء في الجنوب . لقد وجدت هذه الآلات مع عظام
الفيل المنقرض على بعد نصف ميل من قاع بحيرة قديمة بالقرب من
تيكسبان في وادي المكسيك . وتدل اختبارات كربون ١٤ الاشعاعي للمواد

Scanned by CamScanner

العضوية التي وجدت فيها على انها تعود لفترة تتراوح بين ٤٠٠٠
٩٠٥٠ ± ٣٠٠ سنة قبل الميلاد(٦) . ويشير اختبار آخر الى الالف الثا
قبل الميلاد . وفي امريكا الجنوبية وجدت اثارهم بهيئة رؤوس سهام
هلالية الشكل في موقع الجوبو El - Jobo بفنزويلا وفي المستوط
انتهوسي Intihausi وايام بيتن Ayampitin في الارجنتين ويعو
تاريخ هذه الآثار حسب طريقة كربون ١٤ الاشعاعي الى الألف السا
قبل الميلاد (٧) .

ان الحضارة التي اسسها الهنود القدماء في مستوطناتهم المبكرة
الامريكتين في نهاية عصر جليد وسكانسن كانت قائمة على جمع الجذو
والبذور والفواكه والثمار وعلى صيد الحيوانات الكبيرة وخاصة الثو
المنقرض وقد وجدت عظام الحيوانات المنقرضة في مواقع كثيرة مع الآلا
التي استخدمت لصيدها مثل رؤوس السهام وقاذفات الرمح الأتلتل . ك
ان وجود القاشطات المشظوفة بكثرة يشير الى استخدامها في سلخ الجلو
لاستخدامها في صنع الملابس . هذا ولا يوجد دليل على ان الهنود القدما
في الدنيا الجديدة قد مارسوا الفنون كما فعل صيادوا أواخر العص
الحجري القديم في أقطار العالم القديم .

Scanned by CamScanner